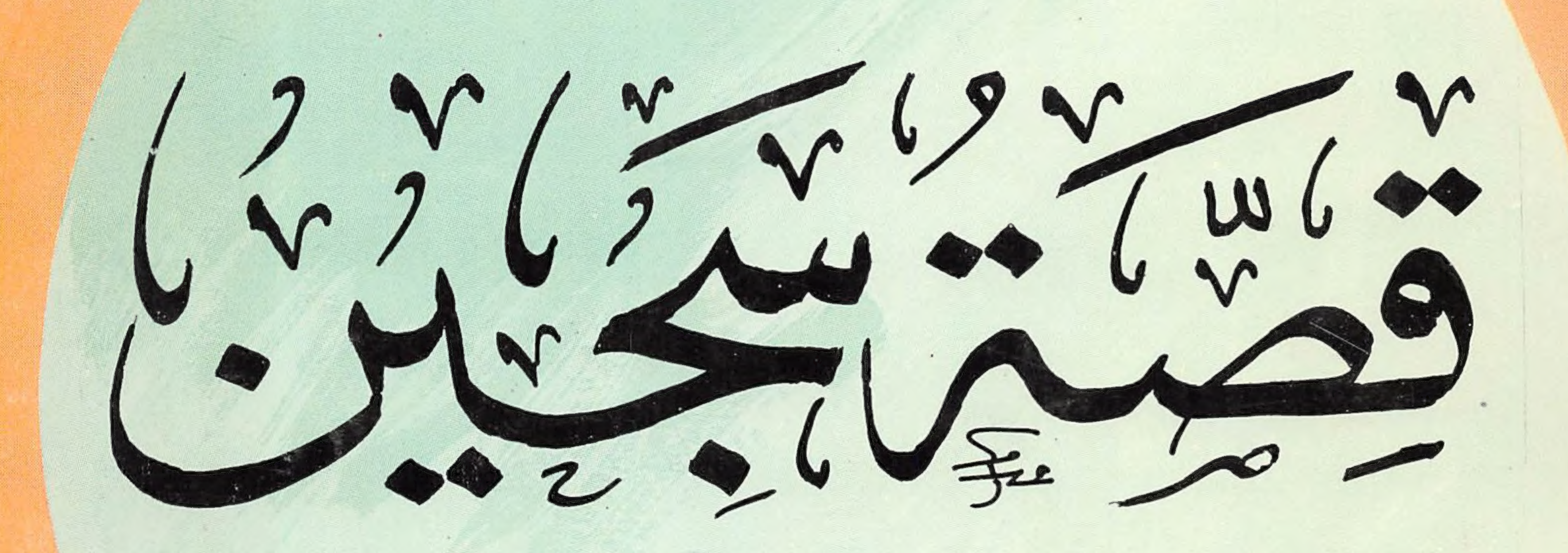
سلسلة القصص
القرآني للأطفال



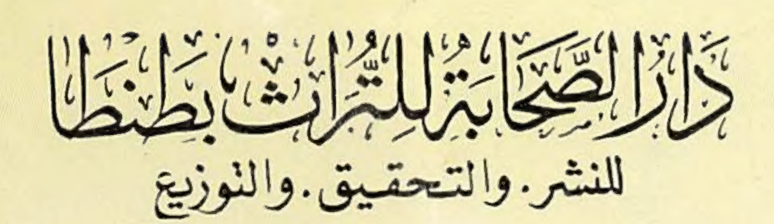
قصة سجين

بقلم د/ محمد عبد العظيم

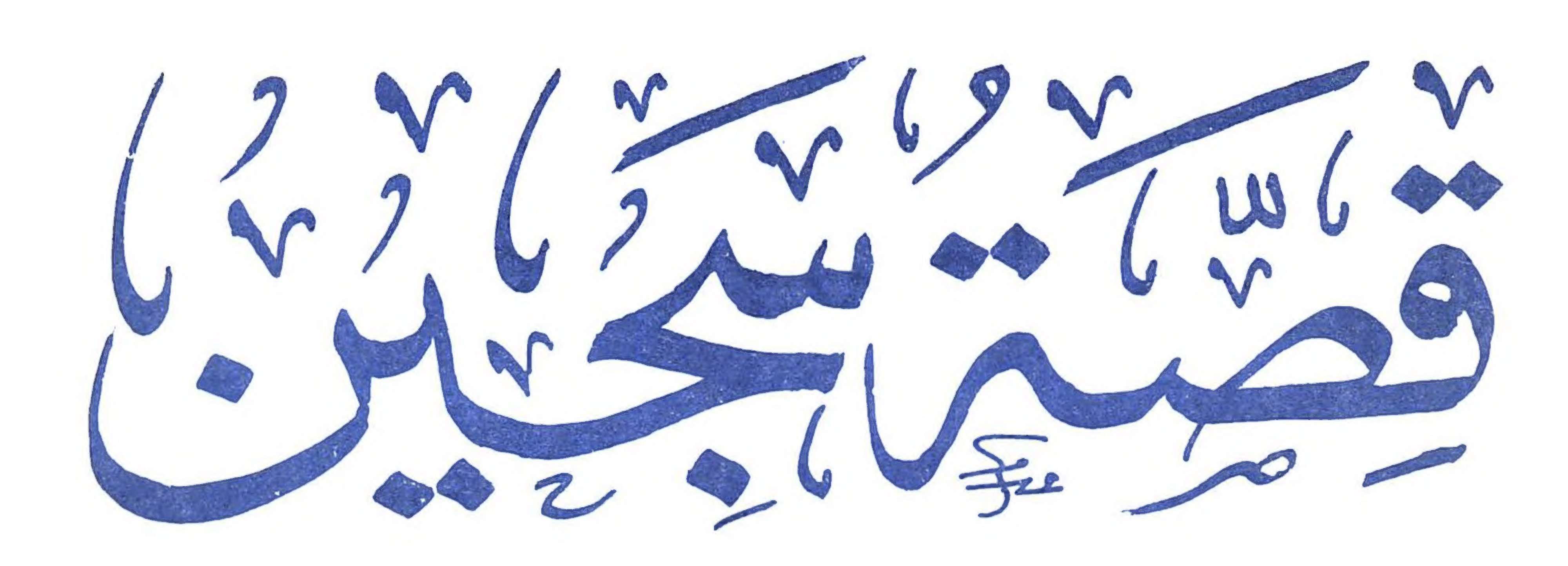
مراجعة وتحقيق قسم التحقيق بالدار



دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر. والتحقيق. والتوزيع



سلسلة القصص
القرآني للأطفال



بقلم د/ محمد عبد العظيم

مراجعة وتحقيق قسم التحقيق بالدار

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر . والتحقيق . والتوزيع

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

المراسلات:

طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ﴾

(يوسف : الآية : ٣٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

.. بين يدى الكتاب ..

الحمد لله الذى علم بالقلم ، وجعله آية العلم ، وعلامة الفقه ، والصلاة والسلام على من أدبه ربه فأحسن تأديبه ، ورباه على عينه فكان متمماً لمكارم الأخلاق ، وأنزل عليه القرآن هدى ونوراً ، وجعل له قصص القرآن حجة ودليلاً ، وعظة وتذكيراً .

وبعد :

فهذا حديث عن قصة من قصص القرآن الكريم ، جعلناه بين يدى أبنائنا الأعزاء ، ليكون لهم هاديًا ودليلاً ، نبتغى به تأصيل المعانى الإسلامية فى عقولهم ، وغرس مفاهيم الجد والجهاد ، والفهم المستنير لحقائق هذا الدين ، عقيدة وجهاداً ، شرعة ومنهاجاً ، سلوكاً وقدوة.

ونهدف إلى أن نرد قصص القرآن إلى الصحيح منها ، ودليلنا فى ذلك قرآن ربنا ، وسنة نبينا ، متحرين فى ذلك الصحيح من كتب التراث ، والمحقق من فكر المسلمين ، يداً بيد مع أخى صاحب دار الصحابة للتراث بطنطا ..

والله من وراء القصد.

د/ محمد عبد العظيم.

هذه حكاية سجين

ليست قصة سجين عادى ..

إنه سجين لم تخلده سجلات البشر ..

بل خلده رب الأرض والسماء فى وحى يتعبد الناس بتلاوته ..

سجلت سطوره فى القرآن الكريم ، وهو كتاب - كما نعرف - ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾.

واتخذ هذا السجين شهرته من أنه نبى أنيطت [1] به مهمة من أثقل المهمات على كاهل أحد من البشر ، وهى إنقاذ مصر من كارثة اقتصادية مروعة تصل إلى حد المجاعة التى يصطلى[2] بنارها الإنس والحيوان والطير.

وتنبع شهرته أيضاً من أنه دخل السجن بتهمة ظالمة ، ليس له فيها سبب ، بل إنه كان يدعو ربه دائماً أن يصرف عنه كيد النسوة اللاتى أحطنه يريدن الكيد به .. حتى لو قدر له أن يدخل السجن :

﴿ **قال رب السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه** ﴾[3].

(١) أنيطت : أوكلت إليه .

(٢) يصطلى: يحترق ويكتوى.

(٣) سورة يوسف : الآية :٣٣.

فضلاً عن شهرته منذ طفولته [١] حين ألقى به إخوته فى البئر ..

إنه : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ،ابن الكريم ، (يوسف بن يعقوب ، بن إسحاق ، بن إبراهيم)[٢].

فما قصة هذا السجين اذن ؟!!

* * *

نحن أمام أغرب محاكمة فى التاريخ ، ربما حدثت محاكمات ظالمة فى فترات الانحدار البشرى ، والظلم الإنسانى المطلق ، حين ينسى الإنسان ربه ، ودينه ، وحقوق إخوانه من البشر ..

وقد رأينا محاكمات يطلق فيها الحكم على المظلوم دون أن يمكن من الدفاع عن نفسه .. فتتوه معالم الحق، وتضيع حقوق الناس .

أما هنا : فنحن أمام متهم لم يقم بالجريمة ، قاضيه هو من اتهمه والشهود من أهل القاضى.

والذى نسب إليه الاتهام لا يملك من أسلحة الدفاع إلا: خلقاً رفيعاً، وحياءً شديداً ، وصدقاً يدافع به عن نفسه .

---

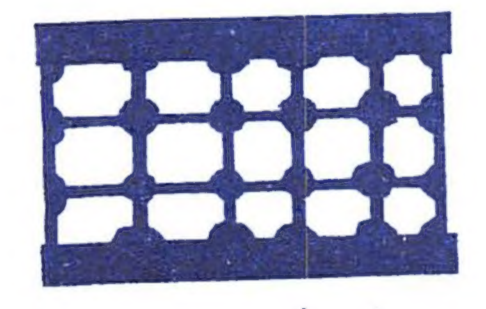
(١) انظر : كتابنا (قصة حلم) ضمن سلسلة قصص القرآن ج ١. من إصدار دار الصحابة.

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٣٦١/٨)

ودليل الاتهام فى صالح المتهم ، فماذا ينتظر القاضى ليصدر حكمه؟!!







الجريمة

اتخذت امرأة العزيز زينتها .. كانت فى أبهى زينة ، وأفخر ثياب ، وأعبق [1] عطر...

ودلفت إلى غرفة نومها

واستلقت على أريكتها المخملية[2].. وضربت كفاً بكف ، فدخلت جارية من الجوارى جناحها الخاص ، وسجدت بين يديها ، فأمرتها سيدتها بالنهوض ، فأشارت إلى منضدة مستديرة إلى جوار مخدعها ، قد رصت عليها الكؤوس البلورية الرقيقة ، وزجاجات النبيذ المعتقة [3] فاندفعت الجارية نحو المنضدة ، ورفعت قنينة خمر ذات غطاء ذهبى ، لفت بحرير مصر الطبيعى ، والتقطت كأساً لا يكاد يرى لشفافية مادته ، ورقة جماله، ودقة صنعه ، فأمالت فم القنينة على حافة الكأس ، وصبت فيه ما يكفى لتجرع الأميرة ، ثم ناولته لسيدتها منحنية خاشعة ، وفأفرغته السيدة فى جوفها دفعة واحدة ،كأنها تصب ذنوب[4] ماء على نار مشتعلة ، فاندفع على أثر ذلك الدم فى وجه سيدة القصر ، فازداد وجهها احمراراً وأضفى

---

(١) أعبق : أزكى رائحة وأطيب.

(٢) المخملية : التى لها خمل وهو الوبر.

(٣)النبيذ: نوع من الخمر يستخرج من العنب ، والمعتقة : الخالصة الجيدة.

(٤) الذنوب : الدلو.

ذلك عليها فتننة وسحراً ، وتجشأت المرأة تجشؤاً خفيفًا ، وشعرت بارتياح ظاهر، ثم التفتت إلى جاريتها ، وسألتها وكأنها لا تعنى ما تقول:

أين يوسف ؟

قالت الجارية :

يبدو يا مولاتى أنه معتكف فى غرفته هذا اليوم ، فلم أره منذ الصباح.

قالت امرأة العزيز :

وماذا يفعل فى غرفته؟

قالت الجارية :

أسمعه يا مولاتى يتمتم بكلام لا أفهمه ، فيدفعنى ذلك - عفواً مولاتى - إلى النظر إليه من ثقب الباب ، فأراه يسجد فيطيل السجود .

أظنه يا مولاتى - يعبد إلهًا غير الذى نعبد !!

قالت امرأة العزيز - وهى تظهر الصرامة فى قولها -:

اذهبى فى طلبه ، فلقد سئمت تكاسل هذا الفتى .

هرولت الجارية قائلة :

سمعاً وطاعة يا مولاتى ..

أقبل الفتى يوسف يسعى ..

كانت خطواته وئيدة ، مطمئنة ، والرضا يشع من وجهه ، ويملأ محياه ، وإطراقة الحياء – الذى يزين الرجال – قد ملكت عليه مشيته ..

وشعرت امرأة العزيز بخطوات يوسف

كانت خطواته لها وقع جميل فى أذنيها ، فصرفت الجارية على الفور وأمرتها أن تخلى الجناح من الجوارى والخدم ، وتعللت بأنها تريد أن تخلد إلى الراحة ، ولا تريد إزعاجاً من خدمها ، فرنت الجارية ببصرها تجاه يوسف ، كأنها تسأل عن مصيره هو الآخر .

فقالت السيدة :

يكفينى يوسف فى جناحى !!

* * *

خرجت الجارية ، ونفذت أمر سيدتها ، فلما اطمأنت سيدتها إلى ذلك ، قامت بنفسها ، وغلقت الأبواب ، وأحكمت المزاليج[1] ثم عادت إلى مخدعها ..

أحس يوسف بما تضمره المرأة ، لم تكن هى المرة الأولى التى

---

(١) المزاليج : جمع مزلاج وهو ما يطلق عليه (الترباس).

تحاول الانفراد به !!

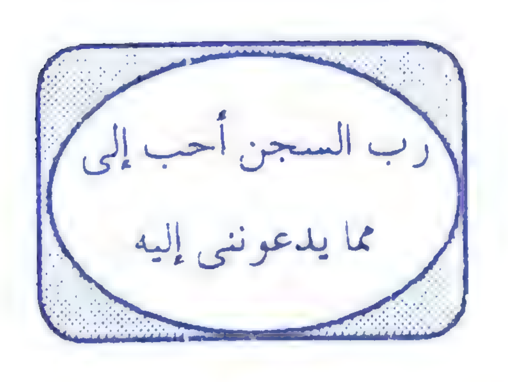
فى كل مرة كان يهرب منها ، وكان الجناح غاصًا بالجوارى..

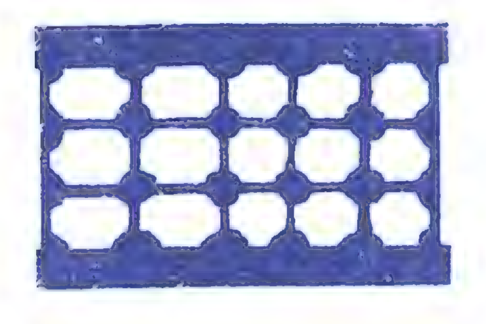
فلم تزد مطاردتها له على كلمة أو إيماءة ، أو محاولة للفت نظره إليها ..

لكن هذه المرة ها هى قد أمرت بإخلاء الجناح ، ولم يبق فيه غيره ..

بل عمدت إلى الأبواب فغلقتها وأحكمت رتاجها [1].

فماذا تضمر المرأة هذه المرة؟ .





(١) أحكمت رتاجها: أحكمت إغلاقها.

جلست السيدة على سريرها ، وبسطت ساقيها ، وأشارت إلى يوسف أن يقترب منها .

قال يوسف – بعفة ظاهرة– :

عفواً ، هل تأمرين خادمك المطيع يوسف بشىء ؟

قالت المرأة في خضوع واستكانة :

يوسف !!

أنت لست خادمى ..

أنت أغلى شىء فى حياتى .

قال يوسف :

عفواً أيتها الأميرة ، بل أنا هنا فى القصر ربيبك ، وخادمك الأمين – قالت السيدة :

يوسف !!

لماذا تهرب منى ؟ أنا أحبك !!

قال يوسف :

كما تحب الأم ولدها ، فأنا نشأت فى القصر منذ طفولتى، وأشهد أنكم رعيتمونى ، وأكرمتم مثواى ، وكنت بالنسبة لكم بمثابة الابن.

قالت امرأة العزيز :

بل أنت حبيبى ..

أنا لك ، وأنت لى ..

قد خلق كل واحد منا للآخر

ونهضت من على سريرها ، ووقفت قبالة يوسف ، ومدت يديها لتضعها على كتفه ، فجفل[1] منها ، وتراجع إلى الوراء ، واحتمى بعمود رخامى ، فاندفعت المرأة تدور حوله وهو يتفاداها ..

صرخت فى وجهه:

ها أنذا قد هيئت لك ..

تراجع يوسف أكثر ..

تقدمت منه أكثر ..

جحظت عيناها .. وتهدل شعرها ، فصرخت فيه :

يوسف .. هيت لك !!

صرخ يوسف فى وجهها :

معاذ الله ..

لا أخون الرجل الذى ربانى ورعانى ..

(١) جفل : انزعج وفزع.

صاحت : كل زينتى هذه من أجلك ، لا تخذلنى .

قال يوسف : معاذ الله .. لا أغضب ربى أبداً.

سـيـدتى ، إن الخـيـانة جـرم عظيم ، إن ربى لا يفـلح عنده الظالمون .

اندفعت نحوه..جرى يوسف يسبقها ..

اتجه إلى الباب ..

جرت خلفه ..

حاول أن يفتح الباب

وجده قد أوصد بالمزاليج [1].

قال يوسف فى نفسه :

رب ، إنى أعوذ بك من هذه الشيطانة المارقة ..

دار يوسف فى أرجاء الحجرة

كانت هى خلفه خطوة بخطوة ..

واستجاب له ربه ..

كان العزيز فى هذه اللحظة يقترب من مخدعها ، وسُمع

---

(١) المزلاج : الآلة التى يغلق بها الباب.

لقدومه جلبة وصياح .. كان الخدم يسرعون بين يديه ، ويتسابقون لفتح الأبواب أمامه .

سمع يوسف هذه الأصوات ، فحمد ربه فى نفسه .

وجرى نحو الباب يريد أن يبادر بفتحه .

كانت السيدة أسرع منه ، فأدركته ، ومدت ذراعيها لتمنعه — لكنها لم تدرك غير ياقة قميصه .. وجذبت القميص بعنف ، فانقطع القميص .. من الخلف ..

فى تلك اللحظة .. انفتح الباب ، ودخل العزيز ومعه رجل قريب لامرأته ، كان يتخذه صديقًا ، وصاحبًا

فوجئ العزيز بالمشهد المثير !! .

امرأته ثائرة الرأس ، تتصبب عرقًا .. يرتجف جسدها ، اختلطت الأصباغ على وجهها !! .

ويوسف !! يقف فى ناحية .. يرتفع صدره بأنفاسه .. يتصبب عرقاً ..

قد قُدَّ قميصه من الخلف ، فتهدل على كتفيه ..

حاول أن يتكلم ، فانحبس الكلام فى فمه ..

لكن امرأته كانت أسرع ..

قالت ـ وكأنها لم تكن منذ لحظات تطارد فتاها – :

أيها العزيز..

– وتصنعت البكاء فارتعش صوتها – وهى تقول :

ما جزاء العبد الخائن .. الذى أراد بأهلك سوءاً ، ولم تنتظر رد العزيز ، فبادرت بقولها :

السجن .. أو العذاب الأليم .

تطلع يوسف بعينين شاكيتين ، وقال فى أدب جم ، وتواضع جميل يحاول الدفاع عن نفسه :

هى راودتنى عن نفسى !!

حاولت أن تجرنى إلى الفاحشة .. لكنى حفظت نفسى ، ورعيت ذمة سيدى العزيز ، وخشيت ربى العظيم ..

تطلع العزيز إلى صديقه ، قريب زوجته .. كأنما يسأله المشورة..

قال الرجل – وقد كان ذكياً– :

القضية التى أمامنا تحتاج إلى دليل لنثبت صدق أحدهما وكذب الآخر.

الدليل عندنا : قميص الغلام ..سننظر:

إن كان القميص قد تمزق من أمام ، فمعنى ذلك أنه قد حاول الاعتداء عليها ، وهى صادقة فيما قالته ، وهو كاذب فيما يدعى ..

أما إن كان القميص قد قُدّ من خلف ، فمعنى ذلك أنها طاردته وكان يهرب منها ، فلما أدركته مزقت قميصه ، وتكون هى كاذبة ، ويوسف صادق فيما ادعاه .

تقدم يوسف خطوتين بناءً على أمر العزيز ، ودار صديق العزيز دورتين حول يوسف .. تفقد خلالها القميص ، وفحصه فحصاً جيداً ، فوجد القميص قد تمزق من الخلف ..

نظر صديق العزيز إلى العزيز نظرة لها معنى ..

كانت نظرة الصديق إلى صاحبه تقول:

إن امرأتك كاذبة ، ويوسف صادق !

تطلع العزيز إلى امرأته ..

لكنها حدجته (١) بنظرة أقوى منها وأثبت ، كأنها لم تفعل شيئًا.

أطرق العزيز فى خزى ولم يتكلم..

القضية واضحة :

---

(١) نظرت إليه بقوة.

يوسف برىء مما نسب إليه .

وتوجهت أصابع الاتهام إلى امرأة العزيز..

ودليل براءة يوسف قميصه الذى شق من الخلف ..

والشهود .. من أهل المعتدية الجانية ..

شهدوا لصالح المتهم البرىء « يوسف » فالقضية واضحة

وبراءة يوسف ظاهرة بينة كضوء الشمس فى ضوء النهار الصافى..

لكن !! لم يحسم القاضى القضية.. ولم يصدر حكماً فيها .. بل ترك ملفها مفتوحاً ..

قال فى استخذاء ظاهر:[1]

﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ [2]

لا تفعل ذلك مرة ثانية !!

ثم اتجه بنظرة كسيرة إلى المرأة كلها اتهام محبوس فى صدره لا يقدر على البوح به ، وقال بنبرة ذليلة :

﴿ واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئن﴾ [2].

(١) استخذاء : خضوع وذل .

(٢) سورة يوسف : الآية: (٢٩) .


رب السجن أحب إلى
مما يدعوننى إليه

السجين

بعد هذا الموقف كان لابد من التخلص من « يوسف »

فلقد استشرت القصة فى المدينة على لسان الناس ، بدأت هادئة خافتة ، بين الخدم والعبيد فى القصر ..

ثم تسللت القصة إلى قصور الأمراء ، والنبلاء فلاكتها ألسن النسوة ، نسوة القصور والبيوتات العريقة..



وذعرت امرأة العزيز..

ستحرق الفضيحة مكانتها ..

ستمرغ « سمعتها » فى الوحل ..

لابد من إخماد الفتنة فى مهدها !..

ومهدها هنا « يوسف »

قررت أن ينسى الناس يوسف ..

وقبل أن تتخلص من « يوسف » كان قرارها بأن تدعو النسوة إلى قصرها .. ليشهدن بأنفسهن ذلك الذى لمنها فيه !!

وأعدت مراسم الحفل ، وجلست النسوة على الحشايا والمتكآت .. وبعد أن فرغن من الطعام

جاء دور الفاكهة ..

فأمسكت كل واحدة منهن سكينًا ، وفيما شرعن فى تقطيع الفاكهة .. أمرت بأن يخرج يوسف عليهن

وخرج عليهن يوسف ..

وما إن رأته النسوة حتى أخذن [1] .

ولن تجد أبدع من تصوير القرآن لهذا المشهد الأخاذ قال ربنا :

﴿فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾

الله أكبر ..

إن النسوة قد أخذهن الإعجاب بيوسف حتى لم يشعرن بما حدث لهن ، لقد قطعت السكاكين أصابعهن ، وفى غمرة إعجابهن بيوسف لم يشعرن بالألم ، ولكن هل كان إعجابهن بجماله فحسب .

لا !!

إنما كان إعجاباً بأدبه وخلقه..

وكان إعجابًا بشىء خفى مستتر فى يوسف ، لم يجدن ما

---

(١) أخذن : دهشن دهشًا شديداً .

يعبرن عنه به إلا بقولهن :

﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾ .

وهذا الشىء الخفى .. هو مهابة النبوة ونورها ..

ولقد روينا أن الصحابة كانوا لا يديمون النظر فى وجه النبى محمد ﷺ .. مهابة وتوقيراً للنبوة ..

وانتهت وليمة النسوة بهذا الانطباع عن يوسف ..

ويبدو أن النسوة قد أخذن يرددن ما حدث ، ويلقين باللائمة على امرأة العزيز ، وانتشر هذا الحديث فى المجتمع المصرى ، فأوعزت امرأة العزيز إلى زوجها أن يتخلص من يوسف بإيداعه السجن ..

وكثيراً ما سألت نفسى :

لماذا لم يتخلص العزيز وملؤه من يوسف بالقتل ، ولو بتدبير حادثة قتل له كما يفعل الظلمة فى كل عصر ؟.

ويأتينى الجواب سريعاً :

إنها عصمة الله لكل نبى من غدر بنى البشر وتربصهم له ..

وتاريخ النبوات يطالعنا بصنوف الحماية التى ضربها الله — عز وجل — على رسله ، وآخرها ما ورد فى القرآن الكريم من تعهد رب

العالمين ألا يصل كيد - مهما عظم - إلى النبى محمد ﷺ قال ربنا: -جل فى عليائه -

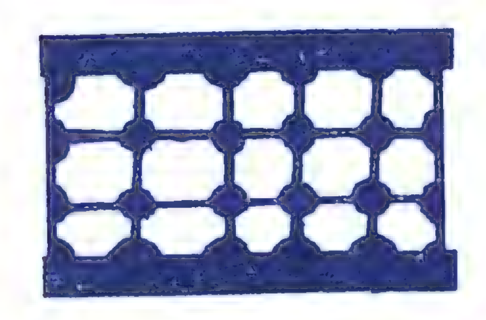
﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ [1].

وقال فى موضع آخر :

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [2].

وقد كان من حكمة الله- عز وجل- أن صرف عن العزيز وامرأته فكرة القتل ، وصرفهم إلى سجنه ..





(١) سورة المائدة : الآية : (٦٧).

(٢) سورة الانفال : الآية (٣٠).

في السجن

السجن قرين العذاب .. للبرىء لمظلوم ، وعقاب المجرم المعتدى..

والحبس يلجأ إليه الحاكم ليخلص المجتمع من شرور المعتدين ، والخارجين على القانون ..

وللسجين حقوق لا يجب إهمالها أو إغفالها رغم أنه معتد أثيم..

إذ يكفيه السجن عقوبة ، ويكفيه الحبس عن الناس رادعاً ..

ورجل يقضى زهرة شبابه فى السجن حرى به أن يقلع عن الجريمة ، ويعرض عن الإساءة للمجتمع فى قابل حياته ..

لكنه فى كثير من الأمم يمس السجين بشىء من العذاب .

وفى دول تعانى من ظلم الحاكم ، وجبروت أجهزة الحكم .. يتعرض السجين مظلوماً كان أم متهماً إلى أقسى ألوان الظلم، وأعتى وسائل امتهان حقوق الإنسان ..

فنرى دولاً تصب ألوان العذاب صباً على سجنائها .. ويتنوع

هذا العذاب بين ضرب بالعصى الغليظة ، وصعق بالكهرباء ، وجلد بالسياط ، ونزع للأظافر وشعر الرأس .. وغير ذلك مما تتحدث عنه تقارير المهتمين بذلك .

والإسلام لا يعترف بمثل هذه الوسائل التى تنتهك فيها آدمية الإنسان ، وتداس حقوقه فيها بالنعال ..

فالإسلام حد حدوداً .. كانت كفيلة بإرساء دعائم الاستقرار فى المجتمع ..

ونظرة واحدة لهذه الحدود ترينا عدالة الإسلام وسبقه للأمم فى الحد من الجريمة

لقد سمى الإسلام العقوبات حدوداً ، لأنها تحد من المعاصى والآثام .. وتكون حائلاً بين أفراد المجتمع والجرائم .

وسنرى لكل لون من ألوان الجرائم ما يناسبها من العقوبة والحد..

وجرائم المجتمع لن تخرج عن هذه الجرائم « الزنا ، والقذف ، والسرقة ، والسكر ، والمحاربة ، والردة ، والبغى »

وقد وضع الإسلام لها عقوبات تتوافق وخطورتها على المجتمع، ولا مجال لحصرها الآن ..

وفى كل هذه الحدود لم يتعد الإسلام حدود حق الإنسان في الدفاع عن نفسه ، والإتيان بالشهود وفى كثير من الأحايين كان الحد يسقط لشبهة من الشبهات .

وفى أزهى عصور الإسلام كان الإنسان يتمتع بحصانة كاملة، تمنع أى والٍ من الولاة من أن يمسه بشىء من العذاب ..

ولننظر فى هذه المساجلة الرائعة بين عمر بن عبد العزيز (خامس الخلفاء الراشدين) وأحد عماله ...

بعث إليه أحد العمال وكان اسمه (عدى بن أرطأة) يقول :

« أما بعد – أصلح الله أمير المؤمنين – فإن قبلى أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله– عز وجل – مالاً عظيماً ، لست أقدر على استخراجه من أيديهم إلا أن أمسهم بشىء من العذاب ، فإن رأى أمير المؤمنين – أصلحه الله– أن يأذن لى فى ذلك ، أفعل »

أجاب أمير المؤمنين (وسترى إجابة غاضبة لخليفة لا يرضى

لواحد من الرعية أن يمسه العذاب حتى ولو كان متهماً .. لتبقى للإنسان كرامته وآدميته) فماذا قال عمر -رضى الله عنه-؟

قال : « أما بعد ، فالعجب كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب بشر ، كأنى لك جنة (أى وقاية) من عذاب الله ، وكأن رضاى عنك ينجيك من سخط الله -عز وجل - فانظر :من قامت عليه بينة عدول [1] فخذه بما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشىء فخذه بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم ، وخل سبيله ، وايم الله لأن يلقوا الله- عز وجل - بخياناتهم ، أحب إلى من أن ألقى الله -عز وجل - بدمائهم ، والسلام ».

فانظر إلى الضوابط الشرعية التى وضعها الإسلام وذكرها عمر ابن عبد العزيز فى رده الحاسم على وإليه «عدى بن أرطأة »

بل إنه - أى عمر - عنى بإصلاح السجون ، وإصلاح المسجونين ..

لقد أمر بعدم تعذيب أحد من المسجونين ، وألا يوثق السجناء بوثاق يمنعهم من الصلاة وهم قيام ، وألا يبيت أحد منهم فى قيد إلا إذا كان مطلوباً فى دم .

---

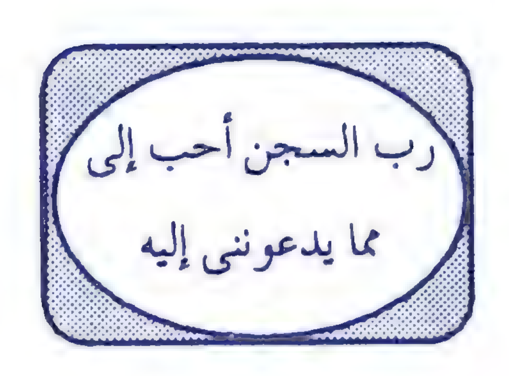
(١) شهود

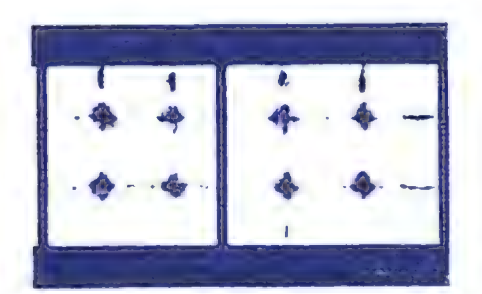
وأجرى عمر على المسجونين من الطعام والإدام ما يكفيهم ، ويصلح شأنهم ، وأخذ بالمبدأ المشهور:(المتهم برىء حتى تثبت إدانته) .

وفضل الخطأ فى العفو على الخطأ فى العقوبة .

وكان يقول : « **لأن يلقوا الله بخياناتهم ، أفضل من أن ألقى الله بدمائهم !!**»[1].

بسطنا الحديث هنا عن العقوبة والسجون وحقوق الانسان .. بين يدى الحديث عن سجن يوسف ؛ لنرى كيف كانت حياته سجيناً ..





(١) انظر كتاب : خامس الخلفاء الراشدين للشرباصى ط دار الشعب (كتاب الشعب) ص ٥٧.

يوسف سجيناً

إن نظرة الإنسان للأحداث التى تمر به تختلف من شخص لآخر ، باختلاف عقيدته وقوة إيمانه بربه ..

ولا يهمنا هنا أن نقف عند نظرة الكافر لهذه الأحداث .. فكل ما يقدمه الكافر لنفسه فى الدنيا- حسناً ذلك أم كان سيئًا -مصيره إلى أن يحبطه الله تعالى ، كما قرر ذلك ربنا - تعالت أسماؤه - قال سبحانه :

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة لهم وزناً، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزواً ﴾[1] .

لكن المؤمن يرى فى كل ما يعرض له فى كون الله قدراً من أقداره سبحانه ، يستسلم له الإنسان ويقابله بما يستحق من شكر الإله المنعم إن كان ما أصابه خيراً ، أو يستعين عليه بصبر المؤمن لما يلقاه من ابتلاءات الله- عز وجل- ، وهذا ما عناه رسول الله ﷺ حين قال :

---

(١) سورة الكهف : الآيتان : (١٠٤ : ١٠٧) .

« عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له »(1)

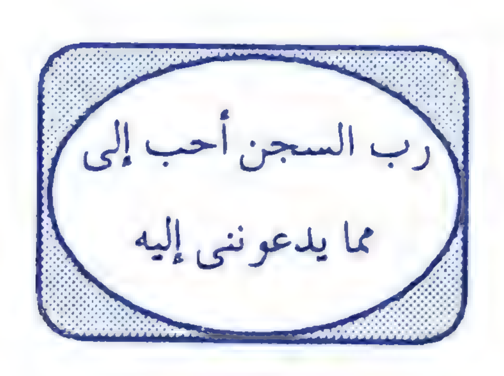
ولكن كيف يستغل الإنسان المحنة لصالحه - إن تعرض لها - ؟

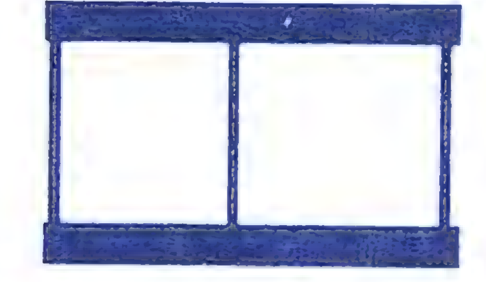
كان الصالحون من أبناء هذه الأمة يواجهون السجن على أنه فترة صالحة للخلوة والتعبد ، وقديمًا قال الرجل الممتحن الإمام ابن تيمية -رحمه الله -:

« ماذا يفعل الأعداء بى ؟ إن سجنى خلوة ، ونفيى سياحة ، وقتلى استشهاد فى سبيل الله »

وهكذا دومًا حال الصالحين فى السجن.

وسنرى ما فعله يوسف عليه السلام فى السجن..





(1) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٣/٢٦٥) ومسلم (١٠٥٣).

من المحسنين

هذا وصف خلعه زملاء يوسف فى السجن عليه ..

ولم يأت هذا الوصف من فراغ ، بل جاء بعد طول معاشرة لهذا السجين ..

كان يوسف سجيناً من الطراز الرفيع .. أدباً ، وخلقاً ، وعلماً.

رأى فيه السجناء .. ما لم يروه فى أحد من السجناء إيثاراً ، وتضحية ، وسعياً فى حاجة زملائه من المسجونين .

وكان أغلب عادات يوسف هو الإكثار من الذكر .. والدعاء لخالقه وربه .

لقد كان يوسف عليه السلام يعتبر نفسه فى فترة خلوة يناجى فيها ربه ويعبده ، وفيها يعتزل مجتمعًا مليئًا بالمفاسد والخيانات والفاحشة ..

وسنرى أن هذه الفترات من الخلوة ضرورية فى حياة كل نبى..

فترة يتعبد فيها النبى ويتهيأ فيها – بقدر الله – لمهمة عظمى ، مهمة النبوة وتبليغ رسالة الله إلى الناس ..

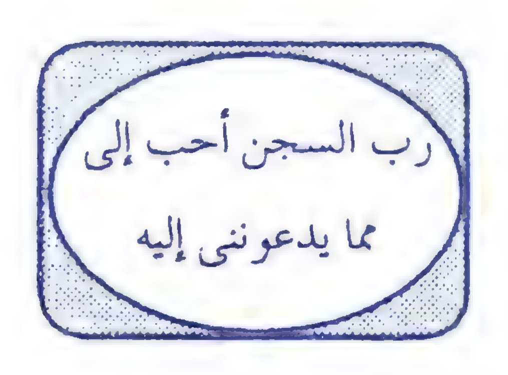
والمتتبع لسيرة الأنبياء يرى أن هذه الخلوة .. من الأمور

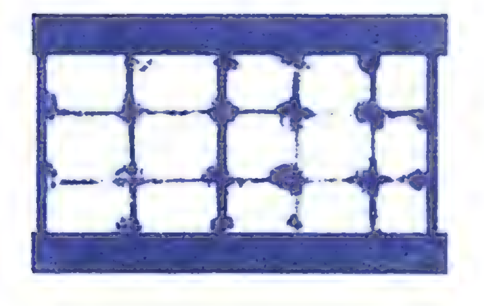
اللازمة لحياة الأنبياء ، وطريقة إعدادهم على عين الله .

وما من نبى إلا وكانت له هذه الخلوة ، يقدرها الله عز وجل له - كما يشاء سبحانه - ومن المشهور لدى جمهور المسلمين أن النبى محمداً ﷺ كانت له خلوة سنوية يستغرق شهراً فيها .. وهو أفضل الشهور - رمضان - يخلو إلى ربه ، وينصرف عن ضوضاء الحياة إلى سكينة التأمل ، ويعتزل مجتمعاً امتلأ شروراً ، ومفاسد، وشركاً بالله الواحد الأحد .

فكانت فترة السجن بالنسبة ليوسف فترة يلتقط فيها أنفاسه ، ويعتزل فيها مجتمعاً امتلأ شروراً ، وآثاماً ومؤامرات ..

وإذن فيوسف كان على مشارف النبوة حين يسر له ربه أن يخلو ويعتزل ، رغم أنه كان بين جدران سجن رطب كئيب ...





إرهاصات [1] النبوة فى السجن

لكل نبى قبل مقدمه إرهاصات تلفت الأنظار إليه ، وتجعله مميزاً عن باقى الناس ..

لقد تعارف الناس قبل البعثة – بعثة الرسول محمد ﷺ أنه كان الصادق الأمين – إذ لم يجربوا عليه كذباً قط ، وسنرى أن سيدنا يوسف– عليه السلام– قد خلع عليه زملاؤه فى السجن أنه كان من المحسنين ..

ومع الإرهاصات التى صاحبت سيدنا يوسف ،كانت مقدمات النبوة قد تمثلت فى علمه بتأويل الرؤيا ، والإخبار ببعض الأمور الغيبية ، وتلك كانت بشارة أبيه يعقوب له فى طفولته [2]

﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق ان ربك حكيم عليم ﴾ [3]

ومن الإرهاصات التى دلت على شخصية يوسف فى السجن صدق اللهجة ، وطيب المعاشرة ، والإحسان إلى زملائه ، فى إطار

---

(١) الإرهاص : المقدمة والإيذان – انظر لسان العرب ج ٢ دار المعارف مادة (ر هـ ص).

(٢) انظر : كتابنا قصة حلم (٢) ضمن سلسلة قصص القرآن من إصدارات دار الصحابة بطنطا.

(٣) سورة يوسف : الآية : (٦) .

خلق رفيع ، لم تعهده السجون فى نزلائها .

وقد تكون ثمة جوانب خلقية سامية لدى يوسف لن نستطيع حصرها - وهذا حق- لكنها أجملت إجمالاً فى أدق وصف لأخلاق يوسف كمقدمات لنبوته ، حين نعته زملاء السجن قائلين:

﴿ إنا نراك من المحسنين..﴾ [1] .

ولابد من الالتفات إلى إرهاصات نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ والتى كان أبرزها صفتين خلعهما عليه كل أبناء قريته (مكة)، وهما الصادق الأمين ، وقولهم حين أقام عليهم الحجة وسألهم عن صدقه معهم يوم أن جمعهم ليبلغهم دعوة الله

قالوا جميعاً - دون أن يشذ عن إجماعهم أحد - :

« **ما جربنا عليك كذباً قط** »

* * *

ومن الإرهاصات التى كانت بين يدى النبوة أمران آخران

أولهما : قدرته على تأويل [2] الرؤيا تأويلاً مبنيًا على علم ربانى أودع قلب يوسف وعقله ؛ فيصير التأويل قانونًا من قوانين الحياة ، وناموساً من نواميسها التى تنشأ مع كل تأويل لرؤيا من يوسف ..

---

(١) سورة يوسف : الآية (٣٦).

(٢) تأويل : تفسير الرؤيا.

ونستطيع أن نقول : إن تأويل يوسف للرؤيا على هذا النحو إنما يعد ضربًا من إرهاصات النبوة . ومقدمة لاستقبال النبى – أى نبى يحدث له ذلك – لبواكير [1] الوحى الأعلى ..

ذلك ما حدث عنه نبى الله يعقوب – أبو يوسف – حين قال له :

وكذلك يجتبيك ربك – أى يختارك ، ويصطفيك للنبوة .. ويعلمك من تأويل الأحاديث ..

فهما – النبوة وتأويل الأحلام – صنوان لا يفترقان وذلك فى شأن يوسف النبى ..

ورأينا أن خاتم الأنبياء محمداً ﷺ كان من إرهاصات نبوته أنه كان يرى الرؤيا ، فتكون مثل فلق الصبح ..

وهو ﷺ الذى أخبرنا عن رؤيا الصالحين من المؤمنين فقال :

« **رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة** »[2]

والأمر الثانى هو أنه كان – عليه السلام- يستطيع أن يخبر زملاءه فى السجن ، بما سيرد إليهم من طعام قبل أن يأتيهما :

---

(١) بواكير : مقدمات .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١٢/٣٥٦ ، ٣٥٨) ومسلم (٢٢٦٣)

﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى﴾ (1) .

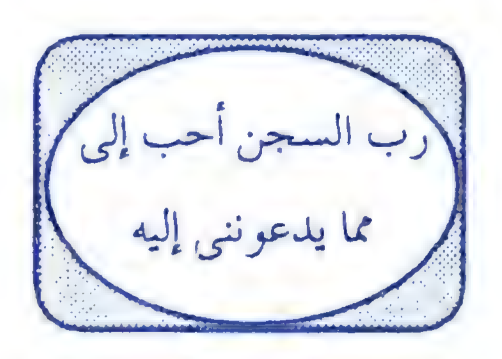
وذلك أمر مرتبط بالرسالة والنبوة ...

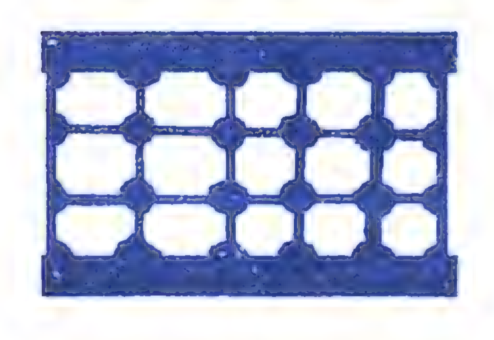
وسنرى أن هذه الخاصية وذلك الأمر قرين النبوات.

فذلك عين ما كان يفعل المسيح عيسى ابن مريم حين قال لقومه - كما ذكر القرآن - :

﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ..﴾(1)

وقد شكل تأويل الرؤيا عند يوسف دوراً خطيراً فى حياته ، وكان مدار هذا الدور فى السجن ، فماذا حدث ؟!!





---

(1) سورة يوسف : الآية (٣٧) .

(٢) سورة آل عمران : الآية : (٤٩).

رؤى ودعوة إلى الله !!

قضى يوسف فى السجن فترة طويلة لا ندرى !!

قصيرة لا نعرف !!

حين قدم على السجن وافدان جديدان اتهما بتدبير مؤامرة لاغتيال الملك ..

كان أحدهما ساقى الملك الذى يعد له شرابه ، وكان الآخر خباز الملك الذى يعد له خبزه ، اثنان من رجال الملك اتهما وألقى بهما فى السجن فرافقا يوسف فى زنزانته .. وتوطدت العلاقة بينهم .

وأنسوا من يوسف رجلاً على خلق عال ، وصاحب سلوك طيب مميز ، وأريحية [١] ومروءة تنضح على كل من فى السجن ..

ولم يلبثا بعد هذه العلاقة ، وهذا الارتباط إلا أن يعترفا بحسن أخلاقه ، وطيب معاملته ، واصفين إياه بقولهما :

﴿إنا نراك من المحسنين﴾

---

(١) أريحية : الكرم وسعة الصدر .

وفى ليلة صفا أديم سمائها ، واعتدل جوها ، فأضفى ذلك الطقس على من فى السجن هدوءاً وطمأنينة ، لم يقطعها بين الحين والآخر ، إلا تعنت حارس من حراس السجن مع سجين ، فآثر أن يضيق عليه ، ويعد عليه أنفاسه، فيصيح السجين مستنجداً بيوسف ، فيخلص يوسف إليه ، ويفض ما بين الحارس والسجين من أمر ، ثم يعود إلى جلسته الهادئة المطمئنة ، فيعاود تلاوة أوراده ، وقراءة ما تيسر له حفظه من دعاء المرسلين ، وكلام النبيين من قبل ، على يد أبيه النبى يعقوب – عليه السلام – .

فى هذه الليلة ...

لم يكن يشغل بال ساقى الملك إلا حلماً رآه فى الليلة الماضية ..

كان قد رأى أنه عاد إلى قصر الملك ، وباشر مهمته كساق للملك ، وأنه رأى نفسه يقدم للملك كأسه المعتاد !!

قص الساقى رؤيته لصاحبه الخباز، فضحك منه !!

وعلق قائلاً :

« الجائع يحلم دائماً بالخبز»

يبدو أنك تحلم بالعودة إلى وظيفتك فى القصر، لكنى يا صاحبى أرى أن ذلك « كعشم إبليس فى دخول الجنة »

فنحن متهمان فى أخطر قضية .. إنها مؤامرة لقتل الملك ، ولا أرى ثمة جزاءاً نلقاه إلا الصلب !!.

قال له الساقى :

لكنى برىء .

قال الخباز ضاحكاً :

لكنا سجناء .. من يدرى بنا أو يدافع عنا ؟ !!

ثم أسر فى نفسه ، وقال بصوت خافت : لكنى متورط فى ذلك .. لقد دسست السم فعلاً للملك ، ولولا أن جهاز مخابرات الملك قد تسربت إليه معلومات عن ذلك ، لكان الملك الآن فى عداد الموتى »

ثم ضحك ضحكاً ماجناً كأنه لا يعنيه الأمر .

قال الساقى – وقد تطلع إلى يوسف فأزعجه مرآه –:

هلم بنا ، لنقص على يوسف ما رأيت ..

تقدم الاثنان نحو يوسف

قال الساقى مخاطباً يوسف :

يوسف ، أيها الصديق العزيز ، إنى أرانى أعصر خمراً ، وأقدم للملك كأسه المعتاد ، بماذا تعبر هذه الرؤيا ؟!! .

وحك الخباز رأسه ، وكأنما عز عليه ألا يخبر هو الآخر برؤيا : ولماذا لا يخبر هو لآخر برؤيا ؟

أليس هو متهماً أيضاً ؟!!

فليخبر هو الآخر برؤياه حتى ولو كان كاذباً فقال متردداً :

وأنا .... أنا ، قد رأيت ... رأيت ...

قال له صاحبه باستنكار:

ماذا رأيت ؟

قال :

رأيت حلماً !!

قال صاحبه :



ولكنك لم تخبرني به !!

قال :

نسيت ..

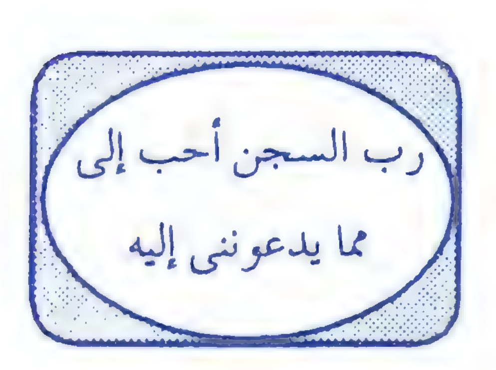
تطلع يوسف إليهما .

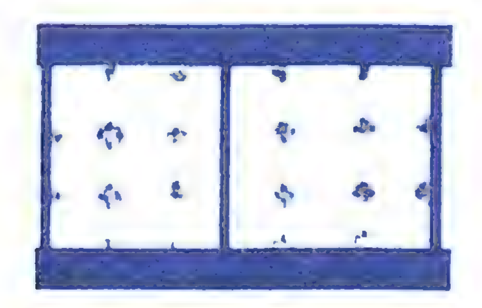
قال الخباز وكأنه يحاول أن ينسج من خياله حلماً : رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزًا ، ورأيت طيراً تقع عليه وتأكل منه!!.

قال الساقي – موجهاً حديثه إلى يوسف –

﴿ نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴾ (١) .

* * *





(١) سورة يوسف : الآية : (٣٦) .

الدعوة إلى الله

من المتصور أن يبدأ يوسف حديثه إلى صاحبيه بتفسير ما سألاه عنه ..

لكن يوسف – شأن الدعاة المخلصين لدعوتهم – ما كان يترك فرصة يجد فيها طريقة لدعوة الناس إلى ربهم إلا واهتبلها [1] ..

فبدأهم بقوله :

﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾[2] .

فالتفت الرجلان إليه !! وكأنما يقولان : جئناك تخبرنا عن أمر فأخبرتنا بأمر آخر واستغربا : كيف يخبرهما يوسف بما سيأتيهما من طعام قبل أن يرزقان به ؟!!

أهو ساحر؟!!

لكنه قال :

﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ [3] .

---

(١) فاهتبلها : اغتنمها ولم يضيعها .

(٢) سورة يوسف : الآية (٣٧).

(٣) سورة يوسف : الآية : (٣٧).

حدق فيه الرجلان وقالا :

ربك ؟!!

قال :

﴿ إني تركت [1] ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾[2]

جحظت عيونهما ..

الآخرة ؟!!

قال يوسف يواصل حديثه :

﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [3]

أنصت الاثنان .. فتابع يوسف قوله :

يا صاحبى السجن !! ، أيعبد الإنسان ربًا واحدًا يملك أزمة الأمور فى حياة الناس ، يرزقهم ، ويمنحهم ، ويعطيهم ، ويتفضل

---

(١) فى خارج السجن .

(٢) سورة يوسف : الآية : (٣٧).

(٣) سورة يوسف : الآية : (٣٨).

عليهم ، يحيينا ويميتنا ؟!!.

أم نعبد أرباباً متفرقة ، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ؟!!

يا صاحبى السجن ، إن ما تعبدونه من دون الله ، ما هو إلا من صنعكم ومن نسج خيالكم ، إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ، ليست من دين الله ، ولا أمرنا الله بعبادتها ، لكن الدين الذى أدعوكم إليه هو الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

* * *

كما ترون فإن يوسف- عليه السلام - وجدها فرصة سانحة ليعرف أصحابه فى السجن بدين الله فى الأرض وفى السماء (الاسلام) .

ثم فسر لهما بعد ذلك الرؤى ..

قال للساقى :

ستعود إلى عملك ، وستقوم بسقى الملك كما كنت .

ثم نظر إلى الآخر ..

وقال :

أما الآخر فيصلب فتأكل الطير منه ، سيثبت تآمره على الملك،

وسيحكم بإعدامه ، ويصلب فى ميدان عام ، حتى تأكل الطير من رأسه !!

صرخ الرجل :

لقد كنت أكذب عليك !!

ما رأيت شيئاً ..

قال يوسف معقباً على كذب الرجل :

﴿ قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ﴾ [1] .

* * *

صدق ما تنبأ به يوسف

وأطلق سراح الساقى

وأعدم الخباز وصلب ، حتى أكلت الطير من رأسه ، وكان يوسف قال للساقى - وهو يطلق سراحه - : حين تصل إلى عملك اذكرنى عند الملك ، واعرض عليه قضيتى ..

لكن الله تعالى قدر ألا يذكر الساقى للملك أمر يوسف ،

---

(١) سورة يوسف : الآية (٤١).

وأنسى الشيطان الساقى ذلك ، فلبث يوسف فى السجن بضع سنين!!

* * *

وآن الأوان ليوسف أن يخرج

فلقد رأى الملك رؤيا لم يستطع جهاز حكمه أن يجد لها تفسيراً [1]..

فتذكر ساقى الملك يوسف ... وقال للملك :

أنا أعرف من يفسرها ؟ .

وتوجه إلى السجن

فسأل يوسف عن تفسيرها ففسرها له !!

فلما سمع الملك تفسيرها ، أعجب بصاحبها ، وطلب خروجه ليستخدمه ، ويستفيد من كفاءته

لكن يوسف رفض أن يخرج قبل أن تثبت براءته فى قضيته مع امرأة العزيز!!

وكان من الممكن ليوسف أن يخرج أولاً ، ويفرح بذلك ، ثم

---

(١) انظر كتابنا : قصة حلم ضمن هذه السلسلة رقم (٣) من إصدارات دار الصحابة بطنطا.

يطالب بالتحقيق فى قضيته ..

لكنه رجل يريد أن تبرأ ساحته قبل أن يخرج من السجن .

فإذا باشر مهمته فى الوزرارة أو فى الوظيفة التى يتسلمها بعد خروجه من السجن يكون ثوبه أبيض لا تهدده تهمة ، ولا تلاحقه فضيحة هو برىء منها ، وتم التحقيق بالفعل ..

اعترفت امرأة العزيز بأن يوسف برىء وأنها هى التى راودته عن نفسه ..[1]

وقالت النسوة :

﴿ **حاش لله ، ما علمنا عليه من سوء** ﴾[2] .

وأعلنت براءة يوسف .

وأمر الملك..

فأخرج يوسف من السجن..

وتولى يوسف أمانة الخزانة ، يتحكم فى أموال مصر ..

وأمامه مهمة ثقيلة ..

---

(١) انظر: سلسلة « قصص الأنبياء » : يوسف الصديق بتفصيل وإسهاب من إصدارات دار الصحابة بطنطا.

(٢) سورة يوسف : الآية (٥١).

وهى مواجهة سنوات الشدة ، والجدب والخروج بالبلاد من تلك الأزمة .

وبحمد الله استطاع يوسف أن يواجه تلك السنين بخطة اقتصادية لم تسمع البشرية بها من قبل ، وكان الإسلام هو الحل فى مواجهتها :.

وبعد ....

فهذه قصة سجين ...

عرضناها من خلال تصوير القرآن الكريم لها .

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا

والله المستعان .

تم الكتاب وربنا محمود ... وله المكارم والعلا والجود

وعلى النبى محمد صلواته ... ما ناح قمرى وأورق عود.

ربيع الأخر ١٤١٤ هـ

اكتوبر ١٩٩٣ م

د/ محمد عبد العظيم لماضة.

* * *

رقم الإيداع : ١١٠٦٢ / ٩٣

I. S. B. N
977 - 272 - 175 - 9